

حالات وأحوال (15)

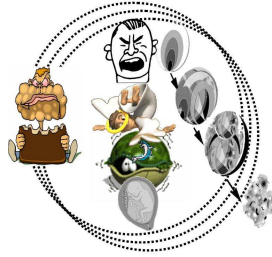
تابع: رحلة التفكير والتخليق (11)
الإيقاع الحيوي: ونبضات النمو والإبداع
(من لا يتفكك لا يتخلق)

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD141215.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/12/14
السنة التاسعة - العدد: 3027



"... لم يكن التعامل مع محمد في العلاج الجمعي مهما كان نشطا وناجحا هو نهاية المطاف بداهة، والمتابع لنا على الورق (دون مشاهدة أو مشاركة) قد يخيل إليه أنه يتعامل مع حالة من حالات تعدد الشخصية Multiple personalities أو ازدواج الشخصية Double Personality التي يشاهدها أحيانا في المسلسلات أو السينما (الأقدم) مع فقد الذاكرة وكلام من هذا، حالة محمد غير ذلك تماما، بل إننا نقدمها لنقول العكس تقريبا، فكل محمد من المحمدين (محمد طريقها - محمد فركشني - محمد طريقها الجديد - محمد الصغير - محمد عبد الله - محمد نفسية) هو هو، وفي حضور الآخرين، دون تعدد بالمعنى الانشاقى السالف الذكر، ودون تبادل بمعنى استبعاد كل من يوجد في الخلفية، ودون صراع دينامي ومثل ذلك بالمعنى الغالب فيما يسمى التحليل النفسي.

يبدو أن قبول مبدأ التعدد بكل تشكيلاته ومستوياته هو أساس الإحاطة بماهية الطبيعة البشرية التي لا يمكن إدراك مسارها ومصيرها إلا من خلال مواكبة حركية تواجد هذا التعدد امتدادا للتطور الذي بدأ منذ ملايين السنين وانطلاقا إلى الغيب الواعد الحاضر الغامض الإبداعي مفتوح النهاية.

الوجود البشري ممثلاً للوجود الحيوي، بل ربما امتدادا أيضا للوجود غير الحيوي، هو كيان دائم التفكير للتخليق، والإيقاع الحيوي على كل المستويات وفي كل الأوقات هو الوسيلة الأساسية في ذلك.

برغم أنني بدأت عرض الحالة أملاً أن نفتح ملف "حالات وأحوال" لأقدم بعض خبرتي من واقع عرض الأعراض النفسراضية وفن تلاقى الوعي البيئشخصي والجمعي وهو مجال نقد النصين البشريين (المريض والمعالج) إلا أنني مع استمرار تقديم هذه الحالة واحدة واحدة، اكتشفت أننا نواجه ما يدعم تطبيقا عمليا للنظرية الإيقاعية التطورية بدءاً من أسسها الجذرية.

بالصدفة البحتة، انشغلتُ هذا الأسبوع في كتابة أطروحتي السنوية التي أنشرها في دورية نجيب محفوظ النقدية وكان عنوانها: "حركية الوعي بين الحلم والإبداع (الشعر) والجنون": دروس من

يبدو أن قبول مبدأ التعدد بكل تشكيلاته ومستوياته هو أساس الإحاطة بماهية الطبيعة البشرية

هذا التعدد امتدادا للتطور الذي بدأ منذ ملايين السنين وانطلاقا إلى الغيب الواعد الحاضر الغامض الإبداعي مفتوح النهاية.

الوجود البشري ممثلاً للوجود الحيوي، بل ربما امتدادا أيضا للوجود غير الحيوي، هو كيان دائم التفكير للتخليق، والإيقاع الحيوي على كل المستويات وفي كل الأوقات هو الوسيلة الأساسية في ذلك.

يبدو أن الأصل في مسيرة النفس البشرية (بل الأحياء جميعا) هو عمليات متواصلة من التفكير والتخليق طول الوقت

إن من لا يتفكك لا يتخلق،
بمعنى أنه لا بد من أن يكون
البدء هو تهيئة أو
حلقة ([1]) الواحد الصحيح
حتى يتمكن من إعادة
تشكيله

إن الله سبحانه قد منح البشر
(وغيرهم غالباً، لكنني سوف
أقصر حديثي على البشر)،
فرصة التفكير والتخليق من
خلال أهم برنامج في حركية
التطور والنمو وهو "الإيقاع
الحيوي

إننا نتفكك كل ليلة بانتظام
فسيولوجي حتمي، أولاً بالنوم،
ثم بما يجري داخل النوم من
حركية الأحلام الدورية
الناطقة المنتظمة وخاصة نوم
الريم REM

إن الذي يسمح باستمرار
الإيقاع التفكيكي التخليقي
الطبيعي هو النوم الناجح،
والعلم المنظم بعد الحلقة
القادر على إعادة
التمهيط Repatterning ثم
الصحو القادر على استيعاب
ما تم أثناء النوم
والعلم، وبهذا تكتمل فاعلية
الدورة
اليوماوية Circadian كل
يوم وليلة

إذا لم نع ضرورة وطبيعة
استيعاب التفكير خارج
النوم والحلم فسوف نبرمج

"أحلام فترة النقاة" وقد وجدت وأنا أجمع المعلومات اللازمة لدعم رأيي الذي تقدمه هذه الأطروحة
أنني تناولت هذا الموضوع بإفاضة في نشرات الإنسان والتطور وخاصة في ملفات الوعي والحلم
والإدراك بل والتفكير، وقد حضرتتي حالة محمد عبد الله أثناء إعدادي أطروحة نقد أحلام النقاة
لمحفوظ بشكل مهم ودال ومفيد، وهذا هو ما جعلني أتوقف الآن لأبين ما وصلنا إليه من خطوط عامة
عريضة أرجو أن تتدعم حين نعود إلى مواصلة تقديم الحالة.

برغم ما سوف يبدو من تكرار محتمل في الموجز الذي سوف أقدمه حالاً إلا أنني أرجو أن
يكون فيه تجميع لما ذكرنا لكي نواصل بعد ذلك عرض الحالة وشرحها (وغيرها) وقد ارتبطت
المعارف ببعضها بما قد ينير طريقنا أكثر، ويهدينا إلى الخطوات التالية لتحقيق الفائدة المرجوة.

(1) يبدو أن الأصل في مسيرة النفس البشرية (بل الأحياء جميعاً) هو عمليات متواصلة من
التفكير والتخليق طول الوقت.

(2) إن من لا يتفكك لا يتخلق، بمعنى أنه لا بد من أن يكون البدء هو تهيئة أو حلقة ([1]) الواحد
الصحيح حتى يتمكن من إعادة تشكيله.

(3) إن الله سبحانه قد منح البشر (وغيرهم غالباً، لكنني سوف أقصر حديثي على البشر)،
فرصة التفكير والتخليق من خلال أهم برنامج في حركية التطور والنمو وهو "الإيقاع الحيوي".

(4) إننا نتفكك كل ليلة بانتظام فسيولوجي حتمي، أولاً بالنوم، ثم بما يجري داخل النوم من
حركية الأحلام الدورية الناطقة المنتظمة وخاصة نوم الريم REM (راجع أيضاً حواراتي مع النفرى
انطلاقاً من موقف الليل وغيره)

(5) إن الذي يسمح باستمرار الإيقاع التفكيكي التخليقي الطبيعي هو النوم الناجح، والحلم المنظم
بعد الحلقة القادر على إعادة التمهيط Repatterning ثم الصحو القادر على استيعاب ما تم أثناء
النوم والحلم، وبهذا تكتمل فاعلية الدورة اليوماوية Circadian كل يوم وليلة.

(6) كما أشرنا ابتداءً إن "من لا يتفكك لا يتخلق"، والتفكير لا يقتصر على مجرد ضمان انتظام
حركة الإيقاع الحيوي لكنه يتطلب تنقلات منتظمة غائبة بين المكونات المفككة مهما تواضعت درجة
تفككها حتى لا يتوقف النبض في حلقة داخل دائرة مكررة منتظمة، وتتقلب حركية الدفع إلى "حركة
في المحل" تعيد نفسها طول الوقت.

(7) إن هذه العملية الطبيعية التي تجري لكل البشر كل يوم وليلة لا تسمى عادة إبداعاً مع أنها
كذلك، ولا يُرصد بها نمو مع أنها أساس ذلك، فهي تبدو عملية روتينية لا نعطي لها قيمة إلا بما
تحتويه من حكي (مثل حكي الأحلام) وأفعال (مثل السعي في الأرض وأكل العيش) وبالتالي يتضاءل
تركيزنا على جدوى ومغزى حركيتها الأساسية في النبض والنمو والإبداع.

(8) إنه إذ تم التفكير في وقت غير وقته، ومحيط غير محيطه، كأن يتم التفكير الحلمي في
وعى اليقظة فإن الحسابات تختلف والاحتمالات تتنوع من أقصى السلبية إلى أقصى الإيجابية (من
أقصى الجنون إلى أقصى الإبداع)

(9) إذا لم نع ضرورة وطبيعة استيعاب التفكير خارج النوم والحلم فسوف نبرمج أساليب
التعامل مع أي تفكير بالخوف فالرفض فالقهر، وإما أن تتجمد حركية الوجود في اغتراب انحرافي
دائم، وإما أن ينغلق نبض الإيقاع داخل الدائرة المغلقة السالفة الذكر.

(10) إذا تم العمل على توفير محيط ومناخ يستوعب درجة معينة من التفكير في وعى اليقظة،
فإننا نكون على أبواب أزمة نمو واعدة، أو احتمال تخليق إبداع متميز، فهو التخليق بعد التفكير (وهو

أساليب التعامل مع أي
تفكير بالخوف فالرفض
فالقهر

إذا تم العمل على توفير محيط
ومناخ يستوعب درجة معينة
من التفكير في وعى
اليقظة، فإننا نكون على
أبواب أزمة نمو واحدة

إذا زادت جرعة التفكير
ابتداءً أو تضاعفت بسوء
التناول بالقمع الخائب أو
الأعمى، فإنها قد تتماهى إلى
التناثر: فهو الجنون

قد تنشط دفاعات جسيمة حتى
المرض في محاولات لمنع
التماهى في التناثر مثلما يتم
"تنكيس" مبنى على وشك
الانهيار، أو عمل "قميص
مسلح" حول حائط متشقق

إذا تماهى الخوف من
التفكير ابتداءً أو بفعل فاعل
(حتى لو كان هذا الفاعل
معالجا) توقف التفكير أو
تراجع فامتنع التخليق تبعاً
لذلك

تدور كل هذه العمليات في
الاتجاه الصحيح ليس بغرض
تحقيق إبداع بذاته أو مفهوم
صحة نفسية بعينها (نوعية
الحياة!!)، وإنما هي أصل في
الطبيعة البشرية

يبدو أن قبول التعدد في

ما نواكبه في حالة محمد عبد الله كمثل).

(11) إذا زادت جرعة التفكير ابتداءً أو تضاعفت بسوء التناول بالقمع الخائب أو الأعمى، فإنها قد تتماهى إلى التناثر: فهو الجنون لأن التفكير ينقلب إلى تفسخ أو تناثر، ثم إلى اندمال هامد إذا غلب المأل السلبى.

(12) قد تنشط دفاعات جسيمة حتى المرض في محاولات لمنع التماهى في التناثر مثلما يتم "تنكيس" مبنى على وشك الانهيار، أو عمل "قميص مسلح" حول حائط متشقق، وبالرغم من أنها قد تتجح مؤقتاً أو دائماً إلا أنه لا التنكيس ولا القميص المسلح يعتبران ضمن علاجات التصدع لأى مبنى، تماماً كما أن هذه الدفاعات قد تصبح صوراً أخرى من أمراض أخرى لها أسماء أخرى مناسبة لنوع وكم الدفاعات التي ظهرت.

(13) إذا تماهى الخوف من التفكير ابتداءً أو بفعل فاعل (حتى لو كان هذا الفاعل معالجا) توقف التفكير أو تراجع فامتنع التخليق تبعاً لذلك، وحتى إذا نجح الخوف في تدعيم دفاعات معقولة لا تصل إلى درجة تسمى أمراضاً بعينها، فإن المأل البديل هو توقف النمو الطبيعى، ومن ثم يتجمد الشخص عند ما يسمى "اضطرابات الشخصية".

(14) إنه لكى تتم هذه العمليات فى اتجاهها الطبيعى بدرجة مأمونة، فإنها تحتاج إلى المشاركة من أكثر من فرد يسيرون نفس المسيرة فى الاتجاه النمائى معاً، وهذا وحده يقلل من المخاوف من التفكير ويعطى الفرصة لتخليق وعى ثنائى ثم جمعى داعم، وهذا ما نأمله فى أن يكون ذلك هو دور العلاج الجماعى أو علاج الوسط فى حدود المهنة، كما أنه هو ما يمكن أن يكون وراء نجاح ونماء المجتمعات البشرية التى تسلك مسار النمو والإبداع والحضارة، وغالباً هو أيضاً ما يجرى على محور التطور الإيجابى، ذلك أن السبيل على المدى الطويل فى الإسهام فى نجاح برامج البقاء الإيجابية التى تحافظ على النوع وسط غابة الأحياء ضد الاغتراب والجشع وفى نفس التوجه.

(15) تدور كل هذه العمليات فى الاتجاه الصحيح ليس بغرض تحقيق إبداع بذاته أو مفهوم صحة نفسية بعينها (نوعية الحياة!!)، وإنما هي أصل فى الطبيعة البشرية التى تدعم بكل إيجابيات الإبداع والإيمان والحضارة، والتى تتجلى فى السعى نحو الوحدية المتناغمة مع دوائر الوعى الكونى المتوالية الاتساع إلى المطلق/الغيب/الإبداع: المفتوح النهائية.

(16) يبدو أن قبول التعدد فى حركية المسار، وقبول التفكير كخطوة ضرورية نحو تحقيق التخليق، يبدو أن هذا وذاك يتدعمان بمزيد مضطرد من التنسيق بين كل مستويات الوعى نحو وحادية قادرة نامية ممتدة.

(17) الوحدية Oneness وهى بعض ما ظهرت ملامحه فى الوجود المحتمل الذى يمثله "محمد دلوقتى" أكثر من أى محمد آخر، وهى مقولة لا تتحقق الآن أبداً لكنها تبدأ الآن حتماً، ليصبح السعى إليها نبضاً سليماً متناوباً بين التفكير والتخليق: هو تحقيقها الممكن باستمرار.

(18) لا يوجد فى حدود ما نعرف عن الصفات البشرية وحادية ثابتة أو دائمة، وإلا استغنيا عن النوم (وهو ستار التفكك المشروع) وعن الحلم (وهو التفكير الفسيولوجى النابض الراتب)، وبما أننا مازلنا بشراً ننام ونصحو، نحلم ونحسب، فالله سبحانه وحده" هو الذى لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو الواحد الأحد، هذا ما وصلنى من دينى (ومن كل الأديان غالباً من عمق بذاته)، وعلى ذلك فإن الرحلة من التفكير إلى التخليق ليست قاصرة على "محمد فركشنى" إلى "محمد دلوقتى" مروراً "بمحمد نفسية" أو احتجاجاً على "محمد طريقها"، وإنما هي الإيقاع البشرى النابض لكل البشر، طول الوقت.

(19) نحن ننام لتفكك (بالأصول الفسيولوجية عبر الإيقاع الحيوى) وقد يقترب هذا التفكك من

حركية المسار، وقبول التفكير كخطوة ضرورية نحو تحقيق التخليق، يبدو أن هذا وذلك يتدحمان بمزيد مضطرب من التنسيق بين كل مستويات الوعي نحو واحدة قادرة نامية ممتدة

لا يوجد في حدود ما نعرفه عن الصفات البشرية واحدة ثابتة أو دائمة، وإلا استغنيا عن النوم (وهو ستار التفكير المشروعي) وعن العلم (وهو التفكير الفسيولوجي النابض الراجح)

نحن ننام لتفككنا (بالأصول الفسيولوجية عبر الإيقاع الحيوي) وقد يقترن هذا التفكك من وعي الصبح فنصنع من بعضه حلما

أثناء النوم يتحرك فينا ما هو "نحن"، بما في ذلك مما انطبع فينا، ليس فقط أثناء الصبح في اليوم السابق أو العمر السابق وإنما في تاريخ الحياة كلها

كل ما علينا هو أن نقبل هذه المسيرة النابضة اليوماوية من التفكير إلى التخليق، ونقرّ بها ما أمكن ذلك

وعى الصبح فنصنع من بعضه حلما، والمفروض أنه من خلال وظيفة النوم بما فيه من نشاط الحلم: يعاد تنظيم ما تفكك لنصحو أكثر طزاجة وأجهز إبداعا، ومن لا يتفكك ولو في النوم، لا تتاح له فرصة التخلق ولو تصور نفسه فنانا (لم يحدث: ما حصلشى!!).

(20) مرة أخرى: ذلك أنه أثناء النوم يتحرك فينا ما هو "نحن"، بما في ذلك مما انطبع فينا، ليس فقط أثناء الصبح في اليوم السابق أو العمر السابق وإنما في تاريخ الحياة كلها، ثم نحن نصحو لنبدأ من جديد بما أعيد تنظيمه في تركيبنا... الخ، (راجع كل ما قيل في ملف الأحلام ، وأيضا في الإيقاع الحيوي ونبض الإبداع ، وأخيرا في نقدي لأحلام فترة النقاهة لنجيب محفوظ).

وبعد

الآن يمكن القول أنه بالنسبة لمحمد "طربقها" إلى "محمد فركشني" إلى "محمد دلوقتي" - وكلنا هذا محمد - كل ما علينا هو أن نقبل هذه المسيرة النابضة اليوماوية من التفكير إلى التخليق، ونقرّ بها ما أمكن ذلك، ونهني لها ما يدعما في محيط وعي اليقظة وهو أظهر المجالات الممكن العمل من خلالها، وأن نوفر لها ما لا يجعلها تخنق منا هربا إلى "كما كنت" فنخدع في الرجوع إلى "المحمد واحداً جامدا" ("محمد طربقها" المغترب) وليس نحو الواحدية النامية المفتوحة النهائية.

هذا علما بأن وحدات التغيير ووحدات الزمن، مع أنها عملية يوماوية دائمة قد لا نستشعرها عادة في وعينا الظاهر بأي درجة من التميز الفارق، لأنها بالغة الدقة من أجزاء الثواني إلى أجزاء الذرات.

خاتمة ووعد مغامر

للأمانة، أشعر أنني كنت على وشك الدخول إلى فرض من وحى حوارى مع مولانا نفرى لأحدث عن علاقة الواحدية بما هو "لا إله إلا الله"، وأن التركيز في أجزاء الثواني والاعتراف بأهميتها القصوى قد يفسر لنا كثيرا من مأزق وشطحات من يسلكون الطريق. لست متأكدا إن كنت سوف أرجع إلى ذلك أم لا، دعوا "محمدًا" يهدينا إلى ما يمكن.

[[- استعمل كلمة **تتعنه** منذ بدأت الكتابة في المجالات والصحف للشخص العادي، وقد استعرت هذا التعبير من "الحسن بن هانى" (أبى نواس) حين قال "وما الغرم إلا أن ترانى صاحبيا * وما الغنم إلا أن تتعنى الخمر"، فقلت على منواله: "وما الغرم إلا أن ترانى ساكنا * وما الغنم إلا أن يتعنى الرأى"، وحين بحثت الآن عن أصل كلمة **تتعنه**: وجدت بها شيئا من العنف: **تعن** الباب: حركة بعنف وشده، **تعن** الشئ: قلقه وحركه بعنف، وحين حضرتى كلمة **حلحلة** دون قصد، وبحثت عنها وجدت بها درجة أخف من التعنة، **حلل**: حلل الشئ أزاله من موقعه: حركه، ومع أنني ارتحت لها أكثر، إلا اننى سوف استمر في تفضيل استعمال كلمة **تعن**، فحالنا لم تعد تحتاج لظفا في التحريك.

*** **



شبكة علوم النفس العربية
نحو لياقة نفسانية أفضل